أكثر من مائة وعشرين فائدة من مقدمة ابن خلدون

انتقاء : إبراهيم المبدل

بِسْم الله نبدأ

١- كانت بريطانية جزيرة تغطيها المياه، ثم انحسرت عنها، فأصبحت برا.

٢- اعلم أن البدوي في الغالب أشجع من الحضري، ذلك أن الحضري وكل أمر حفظه إلى الشرط، يقومون به عنه، وأما البدوي فوحده، يدافع عن نفسه من كل شر في كل وقت.

٣- اعلم أن للدول عمرا، وأقصى عمر للدولة يمكن أن تصله في الغالب ثلاثة أجيال كل جيل أربعون سنة، فيكون المجموع ١٢٠ سنة.

٤- اعلم أن زيادة المكوس في الدولة وكثرتها، مؤذن بخرابها، حيث يقبض الناس أيديهم، وتكسد الأسواق، وهذا يكون في أواخر الدولة.

٥- اعلم أن عطاء الدولة إذا قل، قلت جبايتها في نفس الوقت؛ لأن قلة العطاء ينبني عليه قلة ما في أيدي الناس، فيقلون عن البيع والشراء والمتاجرة، فتقل الجباية.

٦- اعلم أن الظلم مؤذن بخراب العمران، ذلك أنه سبب في انقباض الناس، وعدم خروجهم للعمل، وعدم حرصهم على المعاش، بل يكتفون بالقليل، فيؤدي ذلك للخراب، والظلم ليس محصورا على أخذ الأموال، بل هو عام، فكل من غصب عملا، أو ملكا، أو طلب شيئًا بغير حق، أو منع حقا، فهو ظلم.

٧- دفن كثير من ولد إسحاق عليه السلام في بيت المقدس.

٨- يقول ابن خلدون: آخر زيادة في الحرم المكي كانت أيام المهدي بن المنصور العباسي، ثم توقفت حتى عهده.

٩- بكة هي مكة؛ لأن الناس يبك بعضهم بعضا إليها. أي: يدفع بعضهم بعضا إليها، وقيل: مكة اسم للحرم، وبكة للمسجد خاصة.

١٠- موضع بيت المقدس والجامع الأموي سابقًا كانت هياكل للصبائة عباد النجوم، وقد كان بيت المقدس موضعا لعبادة كوكب الزهرة.

١١- المدن والأمصار والمباني العظام في المغرب الإسلامي ليست بالكثيرة، والسبب في ذلك أنها كانت للبربر مدة طويلة جدًا جدًا، منذ آلاف السنين، وهم بدو رُحَّل، فلم يكن لهم

استقرار دائم، ولا حضارة مستمرة، كما أن غايتهم لقمة العيش، والضروريات، فلم يبلغوا الترف كغيرهم.

١٢- العجم غالبا ليسوا أهل أنساب، ولا يحرصون على المحافظة عليها.

١٣- من أعظم العمال الذين استخدمهم العرب في بناء حضارتهم هم الفرس.

١٤- الرياح والهواء يخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وعدم تحريكه.

١٥- اعلم أن البعض يهاجر لدولة غنية، ظنا منه أن أهلها كرماء، فيصيب عندهم مالا، والصواب غير ذلك، فقد يكون البلد المُهاجر إليه بخيلا والبلد الذي تركه صاحبه أكرم؛ لكنه اغتنى في البلد الآخر لكثرة عمرانه وسعته، وانتشار الترف فيه، واحتاج البلد إلى مثل صنعته، أو إلى عمال يزيدون في ترفه.

١٦- اعلم أن الدولة لابد من قيامها لعصبية في أمر، يشترك فيه الناس، زائدا عن الدين.

١٧- اعلم أن الجو وقرب الشمس وبعدها مؤثر في الخلقة والأمزجة ، فالبرد المفرط تكون العيون فيه زرقاء، والحرارة المفرطة تسبب الضحك والطرب، حتى إنك تجد الرقص والفرح الزائد في أشد المناطق حرارة.

١٨- اعلم أن الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية بكل وجه.

١٩- اعلم أن الهرم إذا دب في الدولة فلن يرتفع في الغالب.

٢٠- معادن الذهب تكون في الغالب ببلاد السودان. (السودان اسم للدول ذوات الشعوب السوداء)

٢١- إذا كثر ساكنو المصر، رخصت أسعار القوت الضروري، وغلا الكمالي، وإذا قل سكانوه كان الأمر بالعكس، والسبب في ذلك أن الضروريات فائضة في الأمصار المأهولة بالسكان، والكماليات أقل منهم، ولولا الاحتكار، لبيعت بلا ثمن، وفي الأمصار القليلة، كانت الضروريات أقل فعلا سعرها، والكماليات أهملت، فقل سعرها، ومثل ذلك قل في أصحاب الأعمال والحرف.

٢٢- يقل العقار في أواخر الدولة، وأول قيامها؛ لقلة منافعه.

٢٣- الأحكام السلطانية كثرة الجور، بخلاف الخلافة.

٢٤- إذا طالت حضارة قوم، أثر هذا على الأرض، وعلى من يأتي بعدهم.

٢٥- عادة التجار أن يضيفوا لسعر السلعة، جميع ما أنفقوه فيها.

٢٦- من مفاسد الحضارة غالبا، والتي لا تنفك عنها إلا ما شاء الله، الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها، وربما يشيع الزنا واللواط.

٢٧- لا يتصور عمران بلا دولة، ولا دولة بلا عمران.

٢٨- الالتحام والاتصال موجود بطبع البشر، وإن لم يكونوا أهل نسب واحد.

٢٩- من شارات الملك، الخطاب بالتهويل.

٣٠- لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين.

٣١- دب الضعف العظيم للغة العربية، عندما ملك التتار.

٣٢- الإنسان إذا عمل وحصل شيئًا سمي كسبا، فإن انتفع به سمي رزقا.

٣٣- الغالب في العالم التمول بالذهب والفضة.

٣٤- اعلم أن كثيرًا الناس أقبل على صنعته وأهمل نسبه، فلذا كان الإنسان ابن عوائده لا ابن نسبه، وقيمة كل امرئ ما يُحسنه.

٣٥- اعلم أن الكنوز في باطن الأرض نادرة قليلة، لا تقصد وتطلب من إنسان طبيعي، وأما ما جاء في الركاز في الحديث النبوي فهو إن حصله على سبيل العثور والاتفاق، لا القصد والطلب.

٣٦- أنواع قسم الأموال هي: المغرم والجباية - الصيد - الفلاحة - الصنائع - التجارة. وقد قيل: المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة.

٣٧- اعلم أن السلطان لابد أن يجعل أناسا يحفظون سلطانه، ويقيمون دولته، ويعزون ملكه، ويخدمونه. وهؤلاء تكون أرزاقهم من بيت المال.

٣٨- ما وقع في مصر من الكنوز، سببه دفن الأموال مع أصحابها على مذهب دولتهم آنذاك.

٣٩- الجاه مختلف عن المال، وهو مفيد كثير للمال وتكثيره، فمن ذلك أنك ترى كثيرًا من الفقهاء وأهل الدين يغتنون بسبب جاههم الديني، ومحبة الناس لهم، ورفع شأنهم، فتهدى لهم الأموال الكثيرة، فتعظم ثروتهم جدًا بسبب جاههم.

٤٠- أكثر التجار لا يكونون أصحاب جاه.

٤١- أهل الخضوع والتملق تعظم ثروتهم، وتزداد سعادتهم، بسبب تقربهم لأصحاب الدولة، وهذا الخلق يعجب الأكابر، فيقربون صاحبه ويحظى عندهم ويسعد.

أما أصحاب الأنفة والاعتزاز فلا تعظم ثروتهم؛ لبعدهم عن هذا الخلق الذي يرونه معيبا ومنقصة لهم ولمروءتهم، إلا أن بعضهم كان سبب عزه الكبر والترفع وادعاء الكمال؛ بحيث يتوهم أن الناس محتاجون له، فيترفع عنهم، ويستصغر من دونه، ولا يتملق لمن فوقه، ويعده مذلة ومهانة، ويوجب لنفسه على الناس أمورا يلومهم على تركها في حقه، وهؤلاء أهل الأنساب الرفيعة، وفي النهاية ما مضى من الأخلاق المتنوعة أمر طبيعي في كل الدول، فغالبا من يحظى عند الملوك هم أصحاب الخضوع والتملق.

٤٢- القائمون بأمور الدين من قضاء وتدريس وفتيا وخطابة وإمامة وأذان لا تعظم ثروتهم غالبا؛ لعزة نفوسهم، وترفعهم عن الخضوع بسبب شرف ما يمارسونه، وكثرة شغلهم، وحياءهم، فلذا لا تعظم ثروتهم غالبا.

٤٣- اعلم أن التجارة: شراء رخيص وبيعه بغلاء.

٤٤- فاقد الجرأة والإقدام ينبغي أن يجتنب الاحتراف بالتجارة؛ لأنه يعرض ماله للذهاب، ويصيِّره مأكلة لغيره وخصومه.

٤٥- إذا صعب إيصال السلعة لبد، فإنا هذا سبب لغلاءها

٤٦- إذا كان هم أهل المدينة، أو القرية معاشهم الضروري، قل فيه العمران.

٤٧- اعلم أن الإنسان بطبعه لا يسمح بعمله أن يقع مجانًا؛ لأنه كسبه ومنه معاشه.

٤٨- أعانت الإبل وأثرت على العرب في التوحش في القفار، والإعراق في البداوة، فلذلك لم يكن العرب أهل صنائع وعمران كالروم والفرس.

٤٩- من حصلت له ملكة كاملة في صناعة ما، فقلَّ أن يجيد غيرها، أما إذا لم يتقنها تمام الإتقان، فيمكن أن يجيد غيرها.

٥٠- اعلم أن الطب والتوليد والكتابة صنائع يقرب صاحبها إلى الملوك.

٥١- يرى ابن خلدون أن المباني العظام لا تدل على عظم الأجسام، بل بإبداع هندسي، ومهارة في البناء.

٥٢- النجارة ضرورية في العمران، فإذا أجاد الناس الضروري فيها، انتقلوا إلى الترف في الزخارف والأبنية الغريبة.

٥٣- قيل: أول من بدأ علم النجارة نوح عليه السلام، ولكنه لم يكن نجارا.

٥٤- القبائل في الأقاليم الدافئة لا يحتاجون لصناعة الألبسة التي تقيهم الحر، بل ربما خرجوا عراة، كبعض قبائل السودان (إفريقيا)

٥٥- التوليد مختص غالبا بالنساء.

٥٦- اعلم أن أصل المرض من الأغذية، وأصل الدواء الجوع.

٥٧- من وظائف الكبد تحويل الغذاء إلى دم عبيط.

٥٨- وجود الأطباء في المدن أكثر بكثير من البادية، واحتياجهم إليهم أكثر؛ لخصب عيشهم، وتنوع طعامهم، وكثرة أنواعه، حتى إنك لتجد في السفرة الواحدة ستين نوعًا من الطعام، وربما لم يقبله الجسم والمعدة، كما تقل الرياضة فيهم، وهذا بخلاف البادية، حيث نوع الطعام قليل، وغالبه من الحبوب، وكثرة الرياضة فيهم من المشي وركوب الخيل وغيرها، فلذا يندر الطبيب في البادية، ويكثر في الحواضر.

٥٩- من أنواع العلاج أن يمنع الرجل عن الطعام مدة معينة، ثم يعطى طعاما معينا يناسب جسمه حتى يبرؤ.

٦٠- اعلم أن الخط والكتابة يتبع العمران، فلذا يقل في البادية.

٦١- لا يطلب الغناء إلا الفارغون، من الضروري والحاجيّ، وهو نهاية الترف، فآخر ما تصل له الدولة من الترف صناعة الغناء والموسيقى، وأول ما يفقد منها هو عند ضعفها.

٦٢- قوله عليه الصلاة والسلام: "لقد أوتيت مزمارًا" الحديث، معناه حسن الصوت وجودة مخارج الحروف، وكمال التوضيح.

٦٣- من العلوم ما يكون مشتركا بين العامي والعالم، ثم تأتي بعد المشترك ملكات هذا العلم، ولا يدركها إلا العالم دون العامي.

٦٤- القيروان وقرطبة حاضرتا المغرب والأندلس.

٦٥- للحضر والبادية آداب وعادات كأنها حدود، لا يجوز تعديها.

٦٦- من أسباب انتشار العلم وطلبته على مر العصور، كثرة الأوقاف عليهم، حيث كفتهم كل شيء.

٦٧- اعلم أن العلوم أمر زائد عن المعاش، فعليه لا تكثر إلا في العمران الذي تجاوز أهله ضرورياتهم.

٦٨- العلوم منها طبيعي يهتدى له بالفكر، ونقلي يؤخذ من واضعه، وبعض العلوم النقلية لا مجال للعقل فيها.

٦٩- أهل الحجاز أفضل الناس اسنادا في الجملة؛ لشدة شروطهم، وقربهم من منابع الحديث والأثر.

٧٠- تخريج الأحاديث بالأسانيد علم انقطع؛ لاستيعاب المتقدمين له.

٧١- أحمد بلغت أحاديث مسنده خمسون ألفا، ومالك ثلاث مائة، وأبو حنيفة سبعة عشر، والمجتهدون بين مقل ومستكثر في الحديث.

٧٢- أهل الحجاز أكثر رواية من أهل العراق؛ لتشدد أهل العراق في رواية التحمل.

٧٣- كان السلف يستخرجون الأحكام من الأدلة، ويختلفون ولابد فهو ضرورة؛ لأن اللغة العربية وألفاظها ذات معان متعددة.

٧٤- المذاهب المعتبرة سابقًا مذهب الظاهر، وأهل الحديث، وأهل الرأي، وشذ بعض أهل البيت وبعض الخوارج بمذاهب فقهية، ثم اندرس مذهب أهل الظاهر وضعف.

٧٥- انتشر مذهب مالك في المغرب، ومذهب أبي حنيفة في المشرق، ومذهب الشافعي في مصر، أما العراق والشام فكانت بين الشافعية والحنابلة وجزء من الحنفية.

٧٦- عمدة أهل إفريقية (تونس) على المدونة، وعمدة أهل الأندلس على العتبيّة من كتب المالكية.

٧٧- تعلم الأدب والعلم من الوالدين والمشايخ يختصر المسافة والطريق، ويقلل المعاناة، أما من أبى ذلك، فسيطول تعبه وجهده.

٧٨- سميت الصوفية بهذا؛ لاشتهارهم يلبس الصوف عن غيرهم، وفي سبب تسميتهم خلاف.

٧٩- مذهب الحلولية والاتحادية الذي أصبح من مذاهب الصوفية تأثر بالباطنية كثيرًا خاصة الإسماعيلية، فبين الباطنية والرافضة وجزء من الصوفية اشتراك.

٨٠- يزعم الفلاسفة أن سندهم ينتهي إلى لقمان، فمنه أخذ سقراط، ومنه أفلاطون، ومنه أرسطو وهكذا.

٨١- دولة الروم كبيرة، كان أسيادها اليونان ثم القياصرة، ومن الروم النبط والإفرنج والترك وغيرهم.

٨٢- أول من كتب في علم الجبر الخوارزمي ثم شجاع بن أسلم، وهو علم يستخرج به العدد المجهول من قبل العدد المعلوم، إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك.

٨٣- اعلم أن علم الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره؛ لأنه علم من براهين وقوانين منتظمة، يقل الغلط فيها وفي أقيستها، فيؤثر هذا في العقل ويضبطه.

.

٨٤- كان اليونانيون يعتنون بالمراصد كثيرًا؛ إذ كان بعضهم عبدة للكواكب والأفلاك.

٨٥- السفسطة: القياس الفاسد المخالف للحق.

٨٦- إمام صناعة الطب جالينوس اليوناني، وقيل: كان معاصرا لعيسى عليه السلام، ولكنه في الروم لا الشام.

٨٧- صناعة الطب تأتي مع الترف والكمال.

٨٨- للبادية طب، وبعضه مفيد، إلا أنه ليس على قانون طبيعي مطرد، ويرى ابن خلدون أن الطب النبوي من هذا القبيل، إذ يحكمه في النهاية قوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بأمور دنياكم". قلت: الكلام خطأ بهذا الإطلاق ومجازفة.

٨٩- يشترط في السحر الوجهة لغير الله، ولذا كان شركا.

٩٠- يرى ابن خلدون أن الخلاف في السحر هل هو حقيقة أو تخييل لفظي فقط، إن النفوس الساحرة منها الشعوذة والطلسمات والسحر، فالأخير هو الحقيقة، والأوليان تخييل وتأثير للقوى الخيالة، فمن نظر إلى الأخير قال: هو حقيقة. ومن نظر للأوليان قال: مجرد تخييل. قلت: في هذا نظر.

٩١- من قوي عنده توهم الشيء فإنه يقع فيه، ألا ترى الماشي على جسر أو حائط، إذا توهم السقوط وقوي هذا التوهم، سقط بلا شك، فينبغي قطع التوهم أصلاً.

٩٢- غالبا يكون السحر في الشر ولأجله.

٩٣- اعلم أن مدح النفس والثناء عليها والإعجاب بها كان من مذاهب الفلاسفة؛ لأنهم يرونها كل شيء.

٩٤- الفيلسوف باليوناني: محب الحكمة. وضررها على الدين كثير؛ لأنهم يتكلمون عن الإلهيات والمغيبات بنظر عقلي وقياسي لا نقلي سمعي.

٩٥- أبو الفلاسفة هو أرسطو.

٩٦- صناعة التنجيم خطيرة على الدين، فلا علاقة لها بالأحداث وليست أسبابا لها، ولكن قد يصدق المنجم أحيانا، فيظن أن جميع كلامه حق، ويشيع هذا الفن، ولذا كان كثير من الخلفاء يقربون المنجمين المتوقعين، وكثيرا ما يكذب، ولكن الناس تغلب الحق الواحد على الباطل الكثير.

٩٧- اعلم أن كثرة التأليف عائق عن التحصيل؛ إذ يضيع الطالب في جرد المؤلفات، وهي لا تحصى، فيضيع عمره، وقد عُلِّم أنه لا تكون له ملكة حتى يحصي هذه المؤلفات، فلا أفاد بمحاولة جردها، ولا استفاد إلا ضياع الوقت والجهد؛ إذ لو اقتصر على الأساسيات والأصول لأصبحت له الملكة المنشودة.

٩٨- اعلم أن أنواع التأليف ومقاصده سبعة: ابتداء التأليف - والشرح - والتصحيح - وإكمال الناقص - والترتيب - والجمع - والتلخيص. فكل التآليف لا تخرج عما سبق.

٩٩- اعلم أن كثرة الاختصارات مخلة بالتعليم؛ إذ يعسر فهمها؛ لصعوبة الكلمات وتعقيدها، وتلقى له غايات العلم، ولم يستعد لها ويُمهد.

١٠٠- الصواب في التعليم التدرج وكونه شيئًا فشيئا، فيراعى عقله، وذهنه، وفهمه؛ حتى ينتهى به إلى غاية الفن.

١٠١- لا ينبغي أن يُطّول على المتعلم تدريس الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع مجالسه؛ لأنه ذريعة للنسيان، وعسر لحصول الملكة في هذا الفن؛ لعسر التعليم وبطئه.

١٠٢- لا ينبغي تكثير الفروع في علوم الآلة كأصول الفقه والنحو، بل تدرس من حيث هي آلة وما يحتاج إليه، أما تقلب إلى علم مقصود لذاته بتكثير المسائل، فذلك خروج عن مقصودها الأصلي والأول؛ إذ هي علوم آلة للوصول إلى المقصود، لا تدرس لذاتها.

١٠٣- اعلم أن من شعائر الدين، تعليم الولدان القرآن.

١٠٤- اعلم أن الشدة على المتعلم مضرة عليه؛ إذ يدفعه إلى الكذب خوفا من العقاب، كما يدفعه إلى الضعف والجبن والخيانة، كل ذلك تهربا من الشدة والقسوة، إضافة إلى كراهيته للعلم، وسرعة الملل.

١٠٥- لا ينبغي الإمعان في مسامحة الصبي، فإن ذلك يحمله على قلة المبالاة للعلم، وعدم الاكتراث له.

١٠٦- العلماء عادة من أبعد الناس عن السياسة؛ لانشغالهم بالفكر وشغول أذهانهم.

١٠٧- اعلم أن أكثر حملة العلم من العجم؛ لانشغال العرب بالرياسة.

١٠٨- أركان علوم اللسان/ اللغة والنحو والبيان والأدب.

١٠٩- اعلم أن السمع أبو الملكات اللسانية.

١١٠- من بديع علم اللغة، تعدد الكلمات والمعنى واحد: فالإنسان الأزهر والخيل الأشهب والغنم الأملح عدة ألفاظ والمعنى هو: أنه أبيض.

١١١- مخرج القاف متسع، ويخلط بينه وبين الكاف، وهذا من لغة العرب ليس لحنا.

١١٢- ضعيف لغة المغرب الإسلامي؛ لاختلاطهم الشديد بالبربر.

١١٣- اعلم أن علم اللسان العربي هو علم بالكيفية، لا الكيفية نفسها، فتجد عالمًا بالنحو لكنه ذو لحن كثير، فهو أتقن علم الكيفية لا ذات الكيفية، وهذا في سائر العلوم، ينبغي التفريق بين علمها وذاتها.

١١٤- يندر أن يتقن رجل علمي الشعر والنثر معا؛ لأن الملكة إذا اسحكمت في رجل، قل أن يتقن غيرها.

١١٥- اعلم أن الشعر موجود في كل اللغات.

١١٦- إجادة صنعة الشعر تستلزم كثرة المحفوظ؛ ليسير على منواله

١١٧- أهل المراتب العليا يترفعون عادة عن الشعر وقوله.

١١٨- ليس على مستنبط الفن إحصاء مسائله، إنما عليه تعيين مواضعه، وتنويع فصوله، ثم يأتي من بعده حتى يكملوه.

١١٩- تمنى ابن خلدون أن يأتي رجل فيكتب كما كتب، ويوضحه، ويغوص في مسائله بشكل أدق وأعمق.

١٢٠- كتب ابن خلدون المقدمة في خمسة أشهر.

فائدة:

لغة العرب هي الوحيدة التي تحمل الكلمة فيها معانٍ عدة، أما غيرها من اللغات فكل معنى له ألفاظ وتراكيب تخصه، ولذا تجدهم يعبرون عن الشيء بكلام أطول مما يقوله العرب ويقدرونه.

مقدمة ابن خلدون ص **٤٧٠** طبعة دار الباز

تحديدًا في الفصل الخامس والأربعين من الباب السادس.

فايدة : لما ضعف العمران والترف بالمغرب الإسلامي، وبعد العهد عن الملك الإسلامي العربي، أصبحت خطوطهم مائلة للرداءة، بعيدة عن الجودة؛ إذ جودة الخط مرتبطة بالعمران والجودة، ولذا يكثر في الحضر، ويقل في البدو، وأول من بدأ تحسين الخطوط وإجادتها، قبيلة حمير اليمانية.

تمت بحمد الله